29/05/2024

كلمة البطريرك يوحنا العاشر في اليوبيل الألماسي لمدرسة الكلية، اللاذقية، 27 أيار 2024



كلمة البطريرك يوحنا العاشر
في اليوبيل الألماسي لمدرسة الكلية، اللاذقية، 27 أيار 2024
صاحب السيادة المطران أثناسيوس ميتروبوليت اللاذقية،
السيد نائب الصاحب مدير الثانوية الأستاذ الياس فياض،
أيها الحضور الكريم،
المسيح قام، حقاً قام.

منذ خمسةٍ وسبعين عاماً شاءت اللاذقية أن تكون لها منارةٌ للعلم فكانت هذه الدار. ومن ذلك الحين إلى يومنا هذا والصرح يشعُّ على الجميع حاملاً إرث كنيسة أنطاكية وتراث الروم الأرثوذكس الروحي والتعليمي والحضاري في تبنّي العلم والمعرفة سبيلاً للنهوض بالمجتمع بكل مكوناته وأولاه الطائفية وذلك عبر التركيز دائماً على العملية التربوية وعلى دور المدرسة في تشذيب شخصية الإنسان وبنائها لا بتقديم المعرفة والعلم فحسب.

في سالف الأيام، كانت وزارة التربية الحالية تسمى وزارة المعارف أو دائرة المعارف. ومن الملاحظ أن تغيير الاسم يحمل في طياته رسالةً ورسالةً جوهريةً

وهامةً وهي أن تقديم المعرفة والعلم شيءٌ هامٌّ. لكن الأهم والأسمى والأكمل هو تقديم هذا العلم وهذه المعرفة ضمن عمليةٍ تربويةٍ هدفها الأول والأخير بناء الإنسان وتربيته على القيم الأسمى وعدم الاكتفاء بالمعارف النظرية بل توسّلُها للوصول إلى تلك. وبناء الإنسان هو اللبنة الأولى لبناء المجتمع والوطن.
في الزمن الفصحي نادت المجدلية مخلصها وقالت: رابوني أي يا معلم. والمسيح له المجد أراد الرسلَ تلاميذ. وهذا أمرٌ في بالغ الأهمية وهو التلمذة. هي قوام التعليم. والتلمذة هي التي تبني جيل المستقبل وهي التي تضع المعلم أمام عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه وتضع التلميذ أمام حقيقة أنّ من لا يستطيع أن يكون تلميذاً يستحيل عليه أن يكون معلماً. أصبحنا في زمنٍ كثُرَ فيه التعليم وقلت فيه التلمذة. أصبحنا في زمنٍ تُمتطى فيه الحرية المقدسة لضرب أسس الحياة كلها. أصبحنا في زمنٍ تُضربُ فيه المؤسسة التعليمية بما يسمى زيفاً "الذكاء الاصطناعي". وهو الأبعد عن الذكاء والأقرب إلى "التخدير المبرمج للعقل" والاتكال على ذكاء مزيف والاكتفاء به. أصبحنا في زمنٍ فقد فيه الشعر وفقدت فيه العلوم الأدبية قيمتها. أصبحنا في زمنٍ تُضربُ فيه العائلة في أساسها وتُنسف فيه القيم والبديهيات تحت ستار الحرية المتسترة بالرغبة والشهوة. ومن هنا تنبع ضرورة غرسِنا على قيمٍ ومبادئَ من حقنا لا بل من واجبنا ككنيسة وكمجتمع وكمدرسة أن نسهر على غرسها في أبنائنا. قيمٍ نتقاسمها مع سائر الأديان ونتقاسمها مع الفطرة الإنسانية التي زرعها الله في كل منا. نقول هذا، لنضع نصب أعيننا عظم المسؤولية الملقاة على عاتق المؤسسة التعليمية بشكل عام. فكيف إذا كانت هذه المؤسسة تستقي تعليمها من إنجيل المسيح!
ومن خبرة كنيسة أنطاكية مع التعليم، يحلو لنا أن نطل اليوم في عيد الكلية الخامس والسبعين. نطل لنقول إن كنيسة أنطاكية استشعرت ومنذ البدء أهمية العملية التربوية التعليمية فأسست مدارسها التي استظلت بالأديار والكنائس. تقول أبيات إحدى المسرحيات التي استضافتها مدرسة دير مار جرجس الحميراء التي افتتحت لفترة وجيزة بعد الحرب العالمية الأولى ولعلها للياس عبيد:
فقراء لا دراهمَ عندنا
والضمير بالمبادي أغنياءُ
هذا رأس مالنا، نحن الروم الأرثوذكس. وهذا ما يلخص دور كنيسة أنطاكية وجهدها في تلك الأزمنة التي بحثت فيها عن العلم بالسراج وبالقنديل. لقد تحسست كنيسة أنطاكية أهمية التعليم فكانت آسية دمشق وغسانية حمص وغيرها من المطرانيات. وكانت مدرسة البلمند وكانت مدرسة مار جرجس الحميراء في عشرينيات القرن الماضي. وكانت أيضاً المدارس الموسكوبية على عهد روسيا القيصرية. كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على إرادةٍ مستميتةٍ للاغتذاء بالعلم ولو كان حتى بالحرف تحديداً.
بورك جهودكم أيها الإخوة القائمون على هذه الكلية وبورك هذا الصرح منارةً نريدها دائماً أن تبقى مشتعلة، مستنيرةً ومنيرةً، مستنيرةً من تعليم إنجيلنا

ومنيرةً من هذا التعليم لكل نفسٍ تائقةٍ إلى العلم. رحم الله كل من سبق من رعاة هذه الأبرشية الذين أرادوا أن تبقى الكلية منارةً هذه الطائفة المشعة على النسيج اللاذقي كله. رحم الله كل من علم في هذا الصرح وكل من درس فيه.
بوركت جهودكم صاحب السيادة المطران أثناسيوس وبوركت جهود المشرفين على الثانوية هذا الصرح وأخص بالذكر نائب الصاحب الأستاذ الياس فياض مدير التعليمي والإداري مع جميع العاملين فيها وسائر الكادر التعليمي.
بارك الله طلابنا الأعزاء وأجزل عليهم من عطاياه السماوية ليكونوا مستنيرين قلباً وعقلاً بنور سناه له المجد إلى الأبد، آمين.

[بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس Antioch Patriarchate]